

مع «ياقوت» في «معجماته»

الدكتور إبراهيم السامرائي^٥

أقول: غلب اسم ياقوت هذا على سائر مَنْ عُرِفَ بهذا الاسم من «المملوكين»، فليس لي أن أخصّصه تعريفاً به بـ«الحموي» أو «الرومي» أو «البغدادي»^(١). ولا أريد أن أعرض لسيرته التي حرّرها محققو معجم البلدان وسائر كُتبه. وفي مقالة دائرة المعارف الإسلامية بطبعاتها الإنكليزية

(٥) عضو مجمع اللغة العربية الأردني.

(١) أقول: قد عرف الأندلسيون «ياقوت» وكانت شهرته لديهم «البغدادي» كثيرة، وهم في هذا قد جروا على ما كثر وروده من بغداد فقالوا: أبو علي البغدادي، وهو «الفاقي» صاحب الأمالي. ولا بد أن أبسط في هذه الحاشية موجزاً أفدته بين الزركلي في الأعلام وغيره، ولا سيما ما بسطه الأستاذ إسمان عباس في مقدمته الفائقة لمعجم الأدباء في نشرته الأخيرة:

أقول: هو ياقوت بن الرومي الذي جُمِلَ «عبدالله الحموي»، أبو عبدالله شهاب الدين، وهو مؤرخ أديب من أشهر مَنْ كُتِبَ في البلدان. لقد جيء به مملوكاً فابتاعه بغداد أحد التجار وهو عسكر بن أبي نصر بن إبراهيم الحموي، وقد لحقته شهرة صاحبه هنا فعرف بـ«ياقوت الحموي». لقد وُتاه هذا التاجر وهو طفل ابن خمس سنوات وعلمه، ثم استعمله في مصالحه التجارية التي اقتضت السفر في البلاد، ثم أعتقه سنة ٥٩٦هـ. لقد عاش ورثاً يتجر بالكسب ويكتب بلسانها. وقد عاد إليه مولاه وعطف عليه فأعطاه شيئاً من المال واستخدمه في تجارته، ومضى في عمله إلى أن توفّي «عسكر» فاستقلّ بماله بعد ذلك. لقد رحل رحلة طويلة إلى مرو في خراسان وأقام فيها يتجر، ثم انتقل إلى خوارزم. واتفق، وهو في خوارزم، أن خرج التتر سنة ٦١٦هـ، فهرب منهم مخافة أن يلحقه ظلمهم تاركاً ما يملك، ثم رحل إلى حلب، وهو معوز مكشود إلى أن توفّي سنة ٦٢٦هـ. ومصنفاته معروفة بسطها كثير من الدارسين، وقد ترجم له ابن خلكان وغيره.

والألمانية والفرنسية فائدة جليّة. ولكنّي سأعرض لما كان لي في «معجماته» التي بدا لي أنّ شيئاً من هذا لم ينله الدارسون.

وكأنّ الدارسين عامّة، ولا أستثي منهم من اضطلع بشركه، قد أدركوا إدراكاً كافياً الصلة الوثيقة بين معجماته وهي: معجم البلدان ومعجم الأدباء ومعجم الشعراء الذي أشار إليه كثيراً في معجمه الأوّل والثاني ولم يصل إلينا غير ما وقفنا عليه في «إشارات» و«إحالاته»^(٢).

وقد يكون لي أن أقرر أنّ هذه المعجمات نسيج متّحد التحم سداه بلحمته، فأنّت تلمح أو تبيّن وشيجة رحم بين كلّ منها بعضها مع بعض.

ولي أن أذهب في هذا فأقول: إنّ «المعجمات» الثلاثة هذه من مصادر الأدب، وأريد بـ«الأدب» دلالة العامّة لدى القدماء. إنّه يتجاوز الشعر والنثر والخطابة إلى معارف أخرى من الصرف والنحو واللغة والأخبار والأنساب والتاريخ، وما يتصل بسلوك الناس وعاداتهم وطرائق تفكيرهم. وأنّت واجد هذا وغيره في هذه «المعجمات»، كما أنّت تجد نحلّاً من هذا وغيره في المطوّلات من المعاجم كلسان العرب وغيره.

لقد أدرك هذا الأمر المستشرق الروسي كراتشوفسكي الذي صتّف كتابه الشهير فوسمه بالأدب الجغرافي، وأشار فيه إلى أنّ العرب عرفوا هذا الترجّح «الموسوعي» في عصرهم القديمة. وقد تعجب أن تجد الكتب التعليميّة في عصرنا قد ذهب أصحابها إلى أنّ «كتب البلدان» هي كتب جغرافيّة. وقد يكون لي أن أبتس بهذا الوصف وهو «الجغرافي»، ذلك يحجب معارف جمّة أوعبها أصحابها في هذه المصادر.

أقول: لقد غاب عن أهل الدرس أنّ ياقوتاً وغيره من أصحاب المعجمات والمطوّلات هم من أهل الأدب والنقد، فأنّت تجد في هذه

(٢) وأنا أومن بهذا إلى ما أفاده الأستاذ إحسان عباس من كون ياقوت قد اعتمد في معجم البلدان على كتاب الأنساب لابن السمعاني، وهو قد سبق أن أفاد أنّ ياقوتاً في عمله هذا غير مسروق به، فقد أبدعه وأتى بما هو جديد. وليس لنا أن نسلم بهذا كما سنرى.

المعجمات رأياً نقدياً يتجاوز حدود «البلاغة» وما يكون من أجناسها وضرورها. ومن المفيد أن أبسط قدرًا من مواد معجم البلدان لأتبيين المادة الأدبية في سعتها التي تتجاوز ما نعرفه، وأبدأ بما أجده في:

«آبة»^(٣) قال: من قرى أصفهان، وقيل: من قرى ساوة.

أقول: هذا كل ما ذكره من فائدة بلدانية، ولكنه أضاف: وأهل آبة شيعة، وأهل ساوة سنية، لا تزال الحروب بين البلدين قائمة على المذهب.

قال أبو طاهر بن سلفه: أنشدني القاضي أبو نصر أحمد بن العلاء الميمندي بأهر، من مدن إذربيجان، لنفسه:

وقائلة أتبيخض أهل آبة وهم أعلام نظم والكتابة؟
فقلت: إليك عتي إن يشلي يُعادي كل من عادي الصحابة

أقول: فأتا أرى أن هذا الذي بسطه ياقوت في هذه «البلدة» يعطي الدارس صورة واضحة عن أهل أصفيان وتوزعهم بين سني وشيعة. ثم إننا نجد أن الأدب القديم يتقدم إلى المؤرخ مادة مفيدة تتجاوز مادة الخبر التاريخي.

وأتحوّل إلي موضع آخر هو «أسك».

أقول: وكان الاسم في معجم البلدان أثبت ياقوت على التغليب، ذلك أن «أسك» هو موضع ذكره أهل المواضع والأمكنة في مصنفاتهم. وقد أشار ياقوت إلى كثير منهم فذكر الأصمعي من المتقدمين صاحب ما أثر عن كتابه جزيرة العرب أو بلاد العرب، وذكر بؤفة الأصفياني كما ذكر غير هذا كالمخشري مثلاً، فليس لنا أن نقول كما قال أحد الدارسين: إن معجم ياقوت في البلدان غير مسبوق، ولو أنه قال إن سعة ما في هذا المعجم من مواضع وبلدان وأثار وفوائد لا يضاهيها ما في غيره.

(٣) أقول: سأفيد في استغراتي هنا مما ورد في معجم البلدان (ط. صادر، بيروت) على حروف المعجم، فليس من حاجة إلى بيان الجزء والصفحة.

وأعود إلى «آسك» فأجد قول ياقوت:

موضع قرب أَرْجان... .

ثم قال: وهي بلدة ذات نخيل ومياه، وفيها إيوان عالٍ في صحراء على عينٍ غزيرةٍ وبيئة، وبإزاء الإيوان قبة منيفة ينفس منها على منة ذراع بناها الملك قباذ والد أنر شروران.

أقول: في هذا فائدة «جغرافية» تاريخية، ولكنه يجد أن الفائدة تضطره إلى أن يبسط ما أفاد من المصادر التاريخية فيقول:

حدث أهل السير قالوا: كان أبو بلال مرداس بن أدية، وهو أحد أئمة الخوارج، قد قال لأصحابه: قد كرهتُ المُقام بين ظيئرائي أهل البصرة، والاحتمال لجور عبيد الله بن زياد، وعزمتُ على مفارقة البصرة، والمقام بحيث لا يجري عليّ حكمه من غير أن أشهر سيفاً أو أقاتل أحداً، فخرج في أربعين من الخوارج، حتى نزل آسك، موضعاً بين رامهرمز وأرجان، فمرَّ به مال يُحمَل إلى ابن زياد من فارس، فعصَّب ما عليه، حتى أخذ منهم بتدر أعطيات جماعته، وأفرج عن الباقي. فقال له أصحابه: علامَ تفرج عن الباقي؟ فقال: إنهم يُصلُّون، ومن صلى إلى القبلة لا أشاقه.

وبلغ ذلك ابن زياد، فأنفذ إليه معبد بن أسلم الكلابي...

أقول: وكانت الوقعة بينهما، واستطاع الخوارج، وهم أربعون، أن يغلبوا جيش ابن زياد. فقال في ذلك عيسى بن فاتك الخطي أحد بني تميم الله بن ثعلبة في كلمة له:

فلما أصبحوا صلوا وصاموا إلى الجرد العتاق مُسومينا

وجاء فيها:

ألفا مؤمنٍ فيما زعمتم ولكنَّ الخوارج مؤمنونا
هُمُ الفئة القليلة غير شكٍ على الفئة الكثيرة يُنصروننا

وأنت تجد أن الفائدة البلدانية في هذا الموضع حاشية موجزة مع

هذه السعة الأدبية التاريخية. وأني لأجد الفرائد الأدبية هذه كانت من مراده في معجم الأدباء ومعجم الشعراء.

وأنحوّل إلى «أمد» التي قال فيها ياقوت:

بلد قديم حصين ركين مبني بالحجارة السود على تَشْر دجلة محيطة
بأكثره، مستديرة به كالللال، قال: وأظنها رومية.

يُنسب إليها الأمدّي أبو القاسم الحسن بن بشر المتوفى سنة ٣٧٠هـ صاحب الموازنة. ويُنسب إليها من المتأخرين أبو المكارم محمّد بن الحسين الأمدّي، شاعر بغداديّ مكثر مجيد، مدح جمال الدين وزير الموصل، ومن شعره:

وَرَّتْ قِمِصُ اللَّيْلِ حَتَّى كَأَنَّهُ سَلِيبٌ بِأَنْفَاسِ الشُّبَا مَتَوَشِّعٌ
وَرَقِعَ مِنْهُ الذَّيْلُ صَبْحَ كَأَنَّهُ وَقَدْ لَاحَ مَسْحُ أَسْوَدُ اللَّيْلِ أَجْلُحٌ
وَلَا حَتَّ بِطِبْثَاتِ النُّجُومِ كَأَنَّهُا عَلَى كَبِدِ الْخَضْرَاءِ نُورٌ مُنْتَعِجٌ

ومات أبو المكارم هذا سنة ٥٥٢هـ.

أقول: وكأني هنا في هذا الموضوع وغيره أتيت الصلة الوثيقة بين «معجمات» ياقوت.

وإذا كان لنا أن نفيد هذه الفائدة في «أمد» فإننا لنجد شيئاً آخر في «أمل» التي جاء فيها: وقد خرج منها كثير من العلماء، ولكنهم قل ما يُنسبون إلى غير طبرستان، ومنهم أبو جعفر الطبري صاحب التفسير والتاريخ. وأصله ومولده من أمل، ولذلك قال أبو بكر محمّد بن العباس الخوارزمي، وأصله من أمل أيضاً:

بأمل مولدي وسر جريير فأخوالي، ويحكى المرء خالته
فها أنا رافضي عن تراثي وأخيري رافضي عن كلاله

أقول: وأنت تجد في سعة أدب معجم البلدان فوائد جمّة لا حصر لها.

وأذهب إلى «أباغ» فأجلدهما في قول ياقوت:

قرية بمرّض اليمامة، وفيها كانت وقعة خالد بن الوليد مع مسيلمة الكذاب، قال شبيب بن يزيد بن النعمان بن بشير يفتخر بمقامات أبيه:
أنتنن يوم الثعف نغف بؤاخة يوم أباضي إذ عتا كلّ مجرم
ويوم حنين في مواطن فتلة أفانا لكم فيهن أفضل منم
وقال رجل من بني حنيفة في يوم أباض:

فله عينا من رأى مثل معسر أحاطت بهم آجالهم والبوائق
فلم أر مثل الجيش جيش محمّد ولا مثلنا يوم احتوتنا الحدائق
أكر وأحمي من فريئين جمعوا وضات عنيبم في أباض البوارق

أقول: وليس لثائل أن يقول إن ياقوتاً قد اقتفى صاحب الأنساب وهو يحتر معجم البلدان الذي كان له في درس واسع في جملة من المصادر القديمة.

قال: وقرأت بخط أبي الحسن بن الفرات: وسُمي آكل المرار، لأن امرأته هنداً سبها الحارث بن جبلة الغساني، وكان أغار على كندة، فلما انتبى بها إلى عين أباغ، هكذا قال أبو عبيدة [أي بالضم]، وقال الأصمعي: أباغ بالفتح...
ثم أورد أبياتاً.

وفي «عين أباغ» يوم بين ملوك غسان، ملوك الشام، وملوك لخم ملوك الحيرة. قتل فيه المنذر بن امرئ القيس اللخمي.

وقد يكون لنا أن نتبين في معجم البلدان غلبة العروبة والعربية حين نجد العرب شعوباً وقبائل قد تفسحوا في البلاد البعيدة عن ديارهم فكانت مواطن لهم. فأنت تجد حين تقرأ في معجم البلدان «أبرشتويم» وهو من جبال «البدء» من أرض مرقان من نواحي إدرسيجان، وهي المكان الذي أوى إليه بابك الخرمي، وأن أبا تمام الشاعر قد مدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري فقال:

وفي أبرشتويم وهضبتيها طلعت على الخلافة بالسعود

قلت: إن هذه المعجمات صنعة حاذق ماهر جمع بين أجزائها فكان فيها ما يشد سداها إلى لحنها من الفوائد. وقد نجد إشارات في بعضها إلى بعضها الآخر.

ولك أن تنظر في «إشيل» وهو حصن بأقصى اليمن، وقيل: حصن وراء الثَّجِير، وقيل: جبل في مخلاف ذمار...
وقد جاء فيه في ما ذكره ياقوت:

حدّث مسلم بن جُنْدَب الهذلي قال: إنّي لعم محمد بن عبدالله النميري ثمّ الثغفني بنعمان، وغلّام يشدّ خلفه يشتمه أقبح شتم، فقلت له: من هذا؟ فقال: الحجاج بن يوسف، دعه فإنّي ذكرتُ أخته في شعري، فأحفظه ذلك، فلما بلغ الحجاج ما بلغ، هرب منه إلى اليمن ولم يجسر على المقام بنا فعبر البحر، وقال:
أتيت عن الحجاج والبحر دوننا عقاربُ تسري، والعيونُ هواجعُ
والقصيدة في عشرة أبيات...

وأضاف ياقوت: وكان عاقبة أمره أن عبد الملك بن مروان أجاره من الحجاج في قصّة فيها طول ذكرونا في كتاب معجم الشعراء بتمامها.
وجاء في «شام» من معجم البلدان:

وقال جبلة بن الأييم، وهو ببلاد الروم بعد أن تنصّر أنفة من غير أن يقتنص في قصّة فيها طول فذكرتها في أخبار حتان من كتاب الشعراء.
وجاء في «عسكر مكرم»:

وقد نيب إليها قوم من أهل العلم منهم المسكري أبو أحمد الحسن بن عبدالله، وقد ذكرت أخباره في كتاب الأدباء.

وقد يكون لنا أن نعدّ كتاب المشترك وضماً والمقترف ضُفماً شيئاً يسيراً من معجم البلدان.

ولتجاوز هذا العمل الكبير الفائق وهو معجم البلدان إلى ما بقي من

«معجماته» ولننف على معجم الأدياء فأقول:

جاء في هذا الكتاب^(٤): إنه اختار له اسم إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ولكنّه، أي ياقوت دعاه معجم الأدياء^(٥) كما دعاه أخبار الأدياء^(٦)، وكتاب الأدياء^(٧). وهو أخبار النحويين^(٨).

وقد سماه ابن الشعار معجم أئمة الأدب^(٩).

أقول: وقال الزركلي في الأعلام^(١٠). وفي النسخة المطبوعة [أراد طبعة دار المأمون بتحقيق أحمد فريد رفاعي] استدرك بتراجم ملققة دُست فيه.

وقد وجدت في كشف الظنون لابن النديم آته إرشاد الألباء إلى معرفة الأدياء، وكأنّه أفاده مآ ورد في وفيات الأعيان لابن خلكان.

وقد استدرك الأستاذ إحسان عباس ثلاث تراجم ذكرها في مقدمته للكتاب أفادها من الوافي للصدي، ومن فوات الوفيات لابن شاعر الكتيبي وغيرهما.

ولكنّي لا يمكن أن أغفل ما وجده الأستاذ مصطفى جواد - رحمه الله - في معجم الأدياء ممّا احتدى إليه في المخطوطات والمطبوعات ودعاه الضائع من معجم الأدياء، ونشره في مجلّد من مجلّدات المجمع

(٤) معجم الأدياء (تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٩١) ١/١٥، وكذلك دعاه ابن المستوفي.

(٥) المصدر نفسه، ١/٤٧٦، وهو بهذا الاسم في بعض ما ورد في معجم البلدان.

(٦) المصدر نفسه، ١/٥٠٨.

(٧) المصدر نفسه، ١/٦١٢.

(٨) المصدر نفسه، ١/٧٢١. أقول: وقوله: «أخبار النحويين» يشير إلى أنّ مصطلح النحويين لدى المصنّفين الأقدمين يتلّج في «الأدياء»، ولذلك جعل الأنباري كتابه في النحويين نزّهة الألباء في طبقات الأدياء.

(٩) قلائد الجمال، طبعة فرانكفورت، ١٩٩٠، ٩/٣٤٠.

(١٠) الأعلام، للزركلي. أقول: والطبعة الأولى للكتاب باسم إرشاد الأريب... هي ما اعتنى بها مرغوليوث في مطبعة هندية في القاهرة ١٩٠٧-١٩١٦ في سبعة أجزاء.

العلمي العراقي (بغداد، ١٩٩٠). وهذه تراجم كثيرة تؤلف جزءاً من الكتاب.

وقد أشار الأستاذ إحسان عباس إلى هذا الذي استدركه مصطفى جواد، ولم يثبت أو يضيف شيئاً إلى ما كان منه في مقدمته. غير أنني وجدته يذكره في آخر صفحة من الجزء السابع الذي صرفه إلى «المقدمة» والقياس، وهذه الصفحة باللغة الإنكليزية. ولكنني لم أجد في مراد الكتاب إشارة إلى مصطفى جواد.

أقول: كأنّ الأقدمين قد أدركوا العلم خيراً ما، فقد عرفنا ما يتصل بتاريخ بغداد للخطيب أنّ ابن الديلمي قد دُيِّل على ابن السمعاني الذي استدرك وذيِّل على تاريخ الخطيب، ومثل هذا كثير لدى الأوائل الذين واصلوا المسيرة، فأكمل بعضهم واستدرك على ما لم يكن لعم سببه. ومن هذا ما كان للمنذري في التكملة، وما كان من طبقات ابن شهية وغير هذا.

أقول: لقد كان لي مسيرة مضية في نشرة الأستاذ إحسان عباس، أسعى إلى أن أجد شيئاً ما استدركه الأستاذ مصطفى جواد، ولكنني لم أجد ذلك، مع أنّه أي الأستاذ إحسان قد ذكره في الصفحة الأخيرة باللغة الإنكليزية، ولم يكن معي مجلة المجمع العراقي. وقد كان من حسن الاتفاق أن وقفت على بحث الدكتور مصطفى جواد منشوراً كتاباً^(١١).

وقد أشار أهل الدرس إلى أنّ ياقوتاً راعى على حروف المعجم في إثبات التراجم، ولكنّه قدّم وأخر فأخلّ بالترتيب. وقالوا: إنّ فيه أغلاطاً في الترتيب وأشاروا إلى أنّه أورد ترجمة أحمد بن أمية بين ترجمتي أحمد بن بختيار وأحمد بن بشر. وأورد ترجمة إبراهيم بن مسعود وسط التراجم

(١١) وقد كان من الاتفاق الحسن أن وقفت على هذا الذي كبه الأستاذ مصطفى جواد في مجلة المجمع العراقي قد نشر ثانية في كتاب طبع في بغداد سنة ١٩٩٠. وقد وجدت فيه فوائد سيّئة تتصل بدرسي هذا.

المختلفة للعلم إبراهيم بن محمد^(١٢).

أقول: وقد يكون هذا من صنعة النساخ.

قلت: وقد كان من «سيرتي» التي أشرت إليها أنني وجدت ترجمة لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني^(١٣)، ثم وجدتها ترجمة ثانية للرجل نفسه في موضع آخر^(١٤). ومثل هذا قد ترجم لعلي بن حمزة البصري في موضعين^(١٥) من الكتاب.

وكنْتُ في سنين خلت أتابع تراجم الرجال فوجدتُ صاحب روضات الجنّات قد أتى بشيء من تراجم الرجال ونسبها إلى معجم الأدباء، وكأنّه أفاد ذلك من السيرطي في بغية الوعاة.

وفي فوات الوفيات والواقعي شيء من هذا أيضًا.

وكانتني هنا أجدني مضطّرًا إلى الحديث عمّا عرض من تداخل بين معجم الأدباء، وما كان من معجم الشعراء الذي لم يصل إلينا.

فقد ذكر ياقوت^(١٦) فقال: وكنْتُ قد شرعت عند شعري في هذا الكتاب أو قبله [أي معجم الأدباء] في جمع كتابي في أخبار الشعراء المتأخرين والتقدماء، فأودعت ذلك الكتاب كلّ ما غلب عليه الشعر فدوّن ديوانه فشاغ ذكره وشأنه، ولم يشتهر برواية الكتب وتصنيفها.

أقول: ولا أراه قد التزم بهذا، فقد جعل من الشعراء نحويتين عُرفوا بالنحو واللغة، ولكنّه استحسن لهم بعض ما أثار عنهم من شعر ولو كان قليلًا، وسنرى هذا.

وقد نجد من الشعراء من ترجم لهم في معجم الشعراء وأشار إلى

(١٢) أنظر مقدّمة معجم الأدباء، ط. دار المأمون، القاهرة، لا.ب.

(١٣) معجم الأدباء، (ت. إحسان عباس)، ١٦٠٣/٤.

(١٤) المصدر نفسه، ١٦٠٤/٤.

(١٥) المصدر نفسه، ١٧٥٤/٤، ١٧٥٥/٤.

(١٦) المصدر نفسه، ص ٨.

هذا في معجم الأدباء^(١٧)، ومن هؤلاء محمّد بن أميّة وكثوم بن عمرو العتّابي وغيرهما.

وقد تنبّه إلى هذا التداخل الأستاذ إحسان عباس في «مقدمته» فقال:

ومن المقطوع به أنّ بعض تراجم معجم الشعراء قد اختلقت بما نشر من معجم الأدباء، ذلك لأنّ أناشأ لا يعرفون إلا بالشعر في عصور لم يكن المؤلف فيها شائعاً في صدر الإسلام وعصر بني أميّة، ومن هؤلاء: أبو ذؤيب النخعي، وأبو زيد الطائي، والفرزدق، ويزيد بن مفرغ، وابن الطيرة، وابن ميادة، وشيب بن البرصاء، ووؤبة بن العجاج، وشعراء من المحدثين مثل أبي دلّامة، وحمّاد عجرد، فهؤلاء وأمثالهم يجب ألا يُذكرُوا في معجم للأدباء. بل ربّما ذهبنا إلى ما هو أبعد من ذلك فتوقفتنا على بعض المذكورين في معجم الأدباء واستجننا من بعض الظواهر في تراجمهم أنّ ترجماتهم ليست ممّا كتبه ياقوت^(١٨).

أقول: وقد بدا لي شيء من هذا وقيلته في جذاذات لي^(١٩). وقد دُفعت إلى هذا بما أفدته من محاضرات أستاذي الدكتور مصطفى جواد قبل ما كان منه في تحرير ما نشره في مجلة المجمع العلمي العراقي. غير أنّ الأستاذ إحسان عباس قد خلص إلى قوله: ولكن دعنا إلا نسرف في التثدير فأثبت هذا أمر عسير. ولكنّ الأستاذ مصطفى جواد لم يكن متردداً حين عرض للشعراء الذين أدرجوا في معجم الأدباء كما سرى. وأعود إلى «المعجمات الثلاثة» لأقول: إنّ بينها وشيخة رحم، فكلّبا عتيت بالرجال، وقد يكون لي أن استدرك قليلاً فأقول: إنّ ما في معجم البلدان ممّا يخصّ العلم «الجغرافي» في كثير من موادّه حاشية لا تقدّم فائدة كبيرة، وكنت قد أشرت إلى هذا في أوّل هذا المرجز. ولي هنا أن أقف على ما سُمّي في

(١٧) معجم الأدباء، ٢٢٠٣، ٢٢١٣.

(١٨) المصدر نفسه، ص ٢٩٢٠.

(١٩) كان من جذاذاتي جملة كبيرة بدا لي وأنا أعتد على إشارات مفيدة في معجم الأدباء وغيره من المصادر، أنّها من تراجم معجم الشعراء وهي مودعة في خزائني ببغداد التي عزّ عليّ الوصول إليها.

كشف الغنون «إرشاد الألباء في معرفة الأدباء» وقد جاء في التعريف به:
توفيه ذكر النحاة واللغويين والقراء وعلماء الأخبار والأنساب والكتاب
وكل صنف في الأدب».

وكأني هنا أقول: إن موادّ هذه «المعجمات» ترجع إلى ما أفاده
ياقوت من درسه وقراءة الآثار، وهذا يفوق ما أخذه عن شيوخه وأصحابه.
وقد أستظير على هذا بما نعرف من سيرته، وفيها أنه شغل بحاجات مولاه
عسكر بن إبراهيم، وأنه كان يرسله إلى عدّة بلدان. ثمّ انصرف إلى نسخ
الكتب سنة ٥٩٦هـ، ثمّ عاد إلى صلته بمولاه كما بيّنا حتى توفي صاحبه.
وكأنه استأنف النسخة وقراءة الكتب بعد سنة ٦٠٠هـ.

وقد رحل رحلة واسعة انتهى فيها إلى مرو في خراسان وأقام يتّجر،
ثمّ انتقل إلى خوارزم. لقد عرف في خزائن مرو: الخزّانة العزيزية والخزّانة
الكمالية، وخزّانة نظام الملك محمّد بن إسحاق، وخزّانتي السمعاتين
وغيرها.

ثمّ إنّه توارى عند خروج التتر سنة ٦١٦، ونزل الموصل وعاش
معوّزاً لا يجد حاجته من القوت، ثمّ غادر الموصل إلى حلب.

أقول: كأني أراه لا يملك الوقت الكثير ليخلص إلى ما ذكر من
شيوخه فيأخذ عنهم ما روه. فكيف يكون له أن يأخذ الكثير من شيوخه
وهم:

سالم بن أحمد بن سالم أبو المرتضى الأديب النحويّ المروزيّ^(٢٠).
والوجيه الكبير المبارك بن المبارك الضرير الذي قال عنه ياقوت:
هو شيخني الذي به تخرّجت وعليه قرأت. وهو صاحب النحو في
«النظامية»^(٢١).

وتاج اللّبين أبو اليمن الكنديّ، زيد بن الحسن من علماء النحو،

(٢٠) معجم الألباء، ١٣٣٩.

(٢١) سير أعلام النبلاء، بيروت، ١٩٨١-١٩٨٢، ٨٨/٢٢.

وهو شيخ ابن النجار^(٢٢).

وأبو البقاء المكبري عبد الله بن الحسين المعروف بالنحو
واللغة...^(٢٣).

وابن الديبشي، محمد بن سعيد، قال فيه ياقوت: شيخنا الذي
استفدنا منه وعنه أخذنا، ذيل على ذيل ابن السمعاني على تاريخ
الخطيب...^(٢٤).

قال الأستاذ إحسان عباس: سقطت ترجمته من معجم الأدياء.

وأبو المعقل عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعاني...^(٢٥).

وعبد العزيز بن مبارك بن محمود الجنابذي...^(٢٦).

والحسن بن أحمد بن يوسف الأوقعي...^(٢٧).

ومحمد بن الخضر بن محمد الحراني، ابن تيمية الباجدي...^(٢٨).

وأما أصحابه وغيرهم ممن اتّصل بيهم فكثيرون ومنهم ابن النجار،
والتنظي (صاحب الإنباه).

أقول: ولست أنفي هذه الصلة بأولئك الشيوخ ومن كان له اتّصال
بيهم من أصدقائه، ولكني أقول: إن معارفه بالرجال من أهل الأدب على
سعة في ذلك العصر جعلني أن أذهب إلى ما أحصى به من الكتب

(٢٢) معجم الأدياء، ١٣٣٠؛ سير أعلام النبلاء، ٣٤/٢٢.

(٢٣) معجم الأدياء، ١٥١٥؛ سير أعلام النبلاء، ٩٢-٩١/٢٢.

(٢٤) تاريخ الإسلام للذبيبي/ الطبعة الرابعة والعشرون، بيروت، ص ٣٢٠-٣٢٢؛
والواقعي ١٠٢/٣.

(٢٥) سير أعلام النبلاء، ١٠٧/٢٢.

(٢٦) معجم البلدان، ١٤١/٢.

(٢٧) المصدر نفسه، ٤٠٨/١.

(٢٨) المصدر نفسه، ٤٥٣/١ (باجدا). وقد أفدت هنا كله من مقامة الأستاذ إحسان،
ولكنني جمعت إلى مظانها للقائفة.

وإخلاقه إلى خزائنها^(٢٩). ثم إنَّ الحقبة التي خلص فيها إلى الدرس بعد أن أعتقه مالكة، وانقطاعه إلى النساخة من أجل كسب قوته، أقول: كل ذلك يدفعني إلى القول إنه لم يعمل على التليل الذي أتبع له أن يأخذه من شيخه.

وقد جاء في معجم الأدياء أنه يزور «حلب» ويدق الباب على القاسم بن القاسم الواسطي^(٣٠)، فيخرج إليه الواسطي ويملي عليه عند باب داره أسماء تصانيفه الكثيرة^(٣١).

وإذا كان لنا أن نعرض لتصانيف ياقوت غير المعجمات الثلاثة نجدها محصول ما كان له من قراءات، وهي تشير إلى خصوصيته الأدبية بما كان للأدب في عصره من دلالات.

وكأني أرى المبدأ والمآل من كسبه التأريخية الذي لم يُوصَل إلينا شيئاً من أخبار الأمم والملوك والمدول، ومثل هذا غيره في أخبار الدول.

وكتاب الأبنية لا بد أن يكون ما كان له من قراءات في كتاب سيبويه والأصول لابن السراج وغيرهما. ومن هذا كتابه الردة على ابن جني في كتابه «سراة الإعراب»^(٣٢).

ولعل أخبار المتبني شيء مما قرأه من مصادر المتبني^(٣٣). ولعل شيئاً منه في «معجميته».

(٢٩) أقول: ويندرج في هذا معجم البلدان الذي حفل بأسماء الرجال من أهل الأدب ومنهم الشعراء، وكأني أجده وهو يعرض للشعراء وأخبارهم مخالفاً لما عرفناه من كتب المراضع والأمكنة التي اقتصرنا على الإشارة إلى الموضع بأشد ما يكون الإيجاز.

(٣٠) له ترجمة في معجم الأدياء.

(٣١) معجم الأدياء، ٢٢١٨/٥.

(٣٢) ومن هذه الكتب ما اختصره في النسب الذي أسماء المقنضب في النسب عن جمهرة ابن الكلبي، وما اختصره من تاريخ بغداد.

(٣٣) قلت: كان ياترث أدبياً فكان أن عرض لفنون الأدب في عصره، فكان من تصانيفه كتاب في ضرائر الشعر.

وقال ياقوت: نقلت عن الأغانى في كتابي الموسوم بأخبار الشعراء
فأكثر^(٣٤).

وقد كان لي أن أفتد من الكتب المطبوعة والمخطوطة أيام الطلب
في باريس في دار الكتب الوطنية وفي مكتبة مدرسة اللغات الشرقية شيئاً
كثيراً من مواد معجم الشعراء، وأذكر من ذلك ما كان من ذيل ابن اللبثي
وذيل ابن النجار وغيرهما، وهذا كله مما بقي في خزائني في بغداد التي
تركتها وقد غادرتها إلى عالم الضياع. ولو كان بين يدي ما كان من أوراقي
العتيقة لكان لي الكثير من معجم الشعراء.

وأذكر أن شيئاً مما وقتت عليه وجدته في معجم البلدان غير مُشار
إليه أنه من مراد معجم الشعراء. وكان من ذلك أن جعلت أغلب ما ورد
من الشعراء في معجم الأدياء من المعجم الآخر، وإن كان لياقوت بعض
القيود في التزيق ما يجب أن يكون هنا أو هناك. وقد كان هذا مما اتفق
عليه الدارسون الذين اطمأنوا إلى ما كان من خلط بين المعجمين.

وأقول: إن جمهرة من مراد معجم البلدان قد جمعت بين الإفادة من
المواضع والبلدان والإفادة الأدبية، وأنا أميل إلى أن بها فيما من الشعراء
ممن عُرفوا بالشعر وممن قلّ لديهم؛ ولكن هذا التليل خنز المؤلف على
أن يضمهم إلى معجمه في الشعراء.

وسأعرض لطائفة من هؤلاء وأنا أشير إلى «الموضع» الذي جاءوا
فيه، فأقول:

١ - أميد:

بلد حصين... على نثر دجلة...

يتسب إليها^(٣٥) الأمدي... صاحب الموازنة...

أقول: وهذا لا يهمني، ولكن الذي يهمني ما ورد في قوله:

(٣٤) معجم الأدياء، ص ١٧٠٧-١٧٠٨.

(٣٥) أقول: جمل «البلد» مؤنثاً، وهو شيء معروف تجده في المصور المتأخرة.

وينسب إليهما من المتأخرين أبو المكارم محمّد بن الحسين الأبيدي،
شاعر بغداد مكثّر مجيد، مدح جمال الدين وزير الموصل، ومن شعره:
وزّت قميص الليل حتى كأنه سلبٌ بأنفاس العُشب متوشحٌ
[ثلاثة أبيات]. مات أبو المكارم هذا سنة ٥٥٢هـ^(٣٦).

٢ - أبان:

أبان الأبيض شرتي الحاجر فيه نخل وماء لبني فزارة وعس. وأبان
الأسود... حدث أبو انعباس محمّد بن يزيد الميرد^(٣٧) قال: كان بعض
الأعراب يقطع الطريق فأخذه والي اليمامة في عمله فحبسه فحنّ إلى وطنه
فقال:

أقول لبؤابئي والسجن مُغلّق وفد لاح برق: ما الذي نزيان

[خمس أبيات]

قلت: وفوائد ياقوت في معجم البلدان كثيرة تذهب في أشات من
المعارف، قال: «والأباني» منسوب إلى «أباتين»، وأضاف:

وكان مهليل بن ربيعة أخو كليب، بعد حرب البوس، تنقل في
القبائل حتى جاور قومًا من مذحج يقال لهم: بنو جُب وهم سة رجال:
مبه والحارث والعلبي وسبحان وشميران وبنان، ويقال لهؤلاء السة:
جُب لأنهم جانيوا أخاهم صُداء، فتزل فيهم مهليل، فخطبوا إليه مية
أخته، فامتنع فأكرهوه حتى زوجهم، فقال:

أنكحها فقدما الأراقم في جُبٍ وكان الخبَاء من آدم

[أربعة أبيات]^(٣٨).

(٣٦) معجم البلدان، «أبيد».
(٣٧) أقول: وهذا يشير إلى أن ما كان من المعارف الكثيرة في معجمات ياقوت يرجع إلى
ما كان له من قراءات في مصادر الأدب.
(٣٨) معجم البلدان، (أبان).

٣ - الأبرشيّة:

موضع منسوب إلى الأبرش!

قال الأحيمر السعدي:

وَبُنْتُ أَنْ الْحَيَّ سَعْدًا تَخَاذَلُوا حِمَاهُمْ وَهَمَّ، لَوْ يَعْمُرُونَ، كَثِيرٌ

[خمس آيات] (٣٩).

٤ - الأبرقان:

تسمية الأبرق، وإذا جاءوا بالأبرقين في شعرهم فأكثر ما يريدون به
أبرق حُجر اليمامة، وهو منزل على طريق مكة من البصرة...

وقال بعض الأعراب يذكرهما:

أقولُ وفوق البحر نخشى سنيّةً تَمِيلُ على الأعطاف كلِّ مَعِيلِ

[خمس آيات].

وقال أعرابي من طحين:

فُتَيْتَا لِأَيَّامٍ مَضَيْنِ مِنَ الثُّبَا وَعَيْشٍ لَنَا بِالْأَبْرَقَيْنِ قَصِيرِ

[سبعة آيات] (٤٠).

٥ - أبو قيس:

جبل...

وقالت امرأة ولها ولدان:

رقد زعموا أنّي جزعتُ عليهما وهل جَزَعُ إن قلتُ وأبأبهما

هما أخوا، في الحرب، مَنْ لا أخاله إذا خاف يوماً نبوءةً فدعاهما (٤١)

(٣٩) معجم البلدان، (أبرشيّة). أقول: وقد حسب أحد النصارى هذه الكلمة في هذا البيت من الرموز النصرانية.

(٤٠) المصدر نفسه، (الأبرقان). أقول: وفي الأمكنة والمياه والجبال للزمخشري: أنّ «الأبرقان» ماء لبني جعفر.

(٤١) معجم البلدان، (أبو قيس).

٦ - أنول:

موضع في أرض خوزستان، له ذكر في الفتح.
قال سلسي بن الفين، وكان في جيش أبي موسى الأشعري لما فتح
خوزستان:

أَكْلَفُ أَنْ أُزِيرَ بَنِي نَعِيمٍ جَمْعَ الْفَرَسِ شِيرًا شُوتَرِيًّا^(٤٢)
[ثلاثة أبيات].

٧ - الأثيل:

موضع قرب المدينة... وكان النبي - ﷺ - قتل عنده النضر بن
الحارث بن كلدة عند منصرفه من بدر، فقالت فتيلة بنت النضر ترثي أباه
وتمدح رسول الله - ﷺ -:

يا رَاكِبًا إِنَّ الْأَثِيلَ مَطِيئَةٌ مِنْ صَبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مَرْقُؤُ
فَلَمَّا سَمِعَ النَّبِيَّ - ﷺ - شَعْرَهَا رَقَّ لَهَا وَقَالَ: لَوْ سَمِعْتُ شَعْرَهَا
قَبْلَ قَتْلِ لَوْحَتِ لَهَا. [تسعة أبيات]^(٤٣).

٨ - أجنادين:

قال ياقوت: وأصحاب الحديث يقولون إنه بلفظ الشبية، ومن
المحصلين من يقول: بلفظ الجمع، وهو موضع بالشام من نواحي
فلسطين.

أقول: ووقعة أجنادين معروفة في خبير الفتح الإسلامية الأولى...
وقال: وانتهى خبير الوقعة إلى هرقل فثُخِبَ قلبه... وهرب إلى
أنطاكية... فقال زياد بن حنظلة:
وَنَجِنَ تَرَكَنَا أَرطَبُونَ مَطَرًا إِلَى الْمَجْدِ الْأَقْصَى، وَفِيهِ حُورُ
[سنة أبيات]^(٤٤).

(٤٢) معجم البلدان، (أنول).

(٤٣) المصدر نفسه، (أثيل).

(٤٤) المصدر نفسه، (أجنادين).

٩ - أُحُد:

وهو الجبل الذي كانت عنده غزوة أُحُد، وهو جبل أحمر شمالي المدينة...

ورود محمّد بن عبد الملك النعماني إلى بغداد، فحرّن إلى وطنه وذكر أُحُدًا وغيره من نواحي المدينة، فقال:

تَنَى النَرَمَ عَنِّي، فَانْفِؤُذْ كَنِيْبُ نَوَانِبِ هُمُ مَا تَنَزَالُ تَنُوبُ
[عشرة أبيات] (٤٥).

١٠ - الأحزاب:

حدّث الزبير بن بكار قال: لَمَّا وُلِّيَ الحِسن بن زيد المدينة، منع عبدالله بن مسلم بن جندب النيدلي أن يؤمّ الناس في مسجد الأحزاب، فقال له: أصلح الله الأمير، لِمَ منعني مقامِي ومقام آبائي؟ قال: ما منعك منه إلا يومُ الأربعاء، يريد قوله:

يا للرجال ليوم الأربعاء أما يشكّ يُحدث لي بعد النبي طَربًا
[تسعة أبيات] (٤٦).

وأختم هذا الموجز بما اجتزأت به ممّا هو من معجم الشعراء وإن لم يشر ياقوت، ولكني تبيّنت من ذلك بما أفدته من المصادر المخطوطة وغيرها ممّا ادّخرته في خزائني التي أُتصيتُ عنها. وهذا وغيره ممّا كان في معجم الأدباء وما كان قد أشار إليه في معجم البلدان وقد أشرتُ إليه في صفحات سبقت، يؤلّف هذا «المعجم» الذي لم يصل إلينا، وأشير إلى ما أورده ياقوت في «صنعاء» ممّا علمت أنه يندرج في ما أنا فيه.

أقول: وقد ورد هذا الأدب في مادة «أبشي»:

وهو وادٍ باليمامة فيه نخل... قال زياد بن منقذ أخو المرّار وهما

من تميم:

(٤٥) معجم البلدان، (أُحُد).

(٤٦) المصدر نفسه، (الأحزاب).

لا حَيْدًا أَنْتِ يَا صَعَاءَ مِنْ بَلَدٍ وَلَا شَعُوبَ هَوَى مَتَى وَلَا تُقُمْ
وَحَيْدًا حِينَ تَمْسِي الرِّيحُ بَارِدَةً وَوَادِي أَسْبِي وَفَتْيَانٍ بِهِ مُنْهَمٍ
وَهِيَ فِي ثَلَاثَةِ عَشْرَ بَيْتًا وَقَدْ ذَكَرَهَا فِي «صَعَاءَ»^(٤٧).

أقول: وهي مما اختاره أبو تمام في حماته.
وجاء في «صعَاء» أيضًا قول أبي محمد الزبيدي يمدحها ويفضّلها
على غيرها من الحواضر وكان قد دخلها:
قَلْتُ: وَنَفْسِي جَمًّا نَارُهَا نَصَبٌ إِلَى أَمَلِيهَا وَأَنْدَمُهَا
سَقِيًا لَصَعَاءَ لَا أَرَى بَلَدًا أَوْضَنَ الْمَوْطِنُونَ يُشَبِّبُهَا
وَالنَّصِيدَةُ فِي ثَلَاثَةِ عَشْرَ بَيْتًا^(٤٨).

أقول: وأبو محمد الزبيدي هذا هو أحد «الزبيديين» الذين ترجم لهم
أصحاب طبقات النحو ومنهم: أبو عبدالله محمد بن أبي محمد الزبيدي
الذي قيل فيه: إِنَّهُ كَانَ شَاعِرًا مَجِيدًا عَلَى كَوْنِهِ عَالِمًا بِاللُّغَةِ^(٤٩).

وقد وجدتُ أبا محمد الزبيدي الذي ذكره ياقوت في «صعَاء» في
الأغاني يقول:

فِي غَابِرِ النَّاسِ الَّذِينَ يُجْتَرُّونَ وَالْفَرْطِ الْمَاضِينَ إِذْ سَلَفُوا^(٥٠)
وَلَهُ أَيْضًا فِي أَخْبَارِ سَلْمِ الْخَاسِرِ:
رُبُّ مَقْمُومٍ بِمَاقِبَةٍ غَمَطِ الشُّعْمَاءِ مِنْ أَسْرَةٍ^(٥١)

(٤٧) معجم البلدان، (أسي).

(٤٨) المصدر نفسه، (صعَاء).

(٤٩) أنظر: الأباري، نزعة الألباء (ط. المنار في الزرقاء الأردن، ١٩٨٥)، ص ١١٨،
١٨٢. أقول: ولأبي محمد الزبيدي أخباره في الأغاني ٢٠/٢٤٨-٢٤٩، (تحقيق
عليّ التجدي ناصف).

(٥٠) الأغاني ٢٠/٢٣٢، أقول: و«الغابر» في البيت بمعنى الباقي. وقد وهم في هذا
محقق كتاب العبر... للذهبي (ط. الكويت) في إثبات الاسم «العبر» في خبر من
غَيْرِ والصواب هنا: «في خبر من غَيْرِ» أي الذاهب. فقد ذهب ظنه إلى أن «الغابر»
هو الماضي، وهو الشائع في عرّتنا المعاصرة.

(٥١) هذه رواية الأستاذ صبحي البصام المصحّحة لما ورد في الأغاني ١٩/٢٦١-٢٨٧
وهو:

رُبُّ مَقْمُومٍ بِمَاقِبَةٍ غَمَطِ النُّعْمَةِ مِنْ أَسْرَةٍ

وأقول: لا بد أن يكون عدتي بن زيد الشاعر وعدتي بن الرقاع وغيرهما ممن لم أجدهم في كتاب الأدباء لياقوت من معجمه الثالث الذي حبه على «الشعراء».

ومن المفيد أن أنهي درسي هذا بما كان من فوائد أستاذي مصطفى جواد - رحمه الله - في كتابه الذي وسمه بالفضائع من معجم الأدباء وهو البحث المستفيض الذي نشره في مجلة المجمع العلمي العراقي كما كانت الإشارة إلى هذا.

أقول: اقتبست هذه الفوائد مما ورد في مقدمة هذا الكتاب^(٥٢)، قال الأستاذ في كلامه على نشرة الأستاذ المستشرق مرغوليوث التي كانت الأصل الذي اعتمد في النشرة الأخرى بعدها. لقد تكلم على ما كان من مشكلات النشرة وعلى ما كان من تجزئتها وما اتصل بذلك من أمور، وما اشتمل عليه كل جزء من تراجم، وقد جاء في كلامه هذا:

وقد لحظت أن في الجزء الرابع والجزء السابع على اعتقاد أصالتهما تراجم من تراجم الشعراء الذين لم يستحقوا أن يُسموا بالأدباء^(٥٣)، كالحسين بن حجاج^(٥٤) (ج ٤، ص ٦) والحسن بن الحسن بن واسان الدمشقي (ص ١٧)، والحسين بن عبدالله بن يوسف المعروف بابن شبيل البغدادي (ص ٣٨).

أقول: ومضى الأستاذ مصطفى جواد يذكر أسماء الشعراء الذين

(٥٢) الضائع من معجم الأدباء لمصطفى جواد (نشر في بغداد سنة ١٩٩٠، شركة المعرفة للنشر والتوزيع) ص ١٣-١٧.

(٥٣) أراد الأستاذ مصطفى جواد بـ«الأدباء» ما أراد لياقوت وسائر القدماء من كونها شهرة يتدرج فيها النحاة واللغويون والمفسرون وأهل الحديث وسائر البعاطف القديمة. وقد يكون لنا أن نعيد هذا في كتب طبقات النحويين مثلاً، فقد وسم الأباري كتابه بـ«تريفة الألباء» في طبقات الأدباء ولذلك كان فيه النحاة واللغويون، وأنت تجد فيه المتني والمعري وأبا نؤاس وأبا حيان الترحيدي وغيرهم.

(٥٤) حاشية لمصطفى جواد:

هو الحسين بن أحمد بن محمد المعروف بـ«ابن حجاج»، وفي قول آخر: بـ«ابن الحجاج» على اللحن.

بُدنت أسماؤهم بحرف الحاء، وتحول بعد ذلك إلى الشعراء الذين بُدنت أسماؤهم بحرف الخاء، ثم ذهب إلى ما كان منهم بحرف الدال ويحرف الراء، ثم النزاي فالسين فالشين، ولم يكن منهم من حرف الطاء والفاء والعين إلا شاعر واحد في كلِّ حرف. فقد كان هذا كله في الجزء الرابع من نشرة الأستاذ المتشرق.

قال الأستاذ مصطفى جواد:

«هذه التراجم في الجزء الرابع الذي يكاد يكون معجمًا للشعراء، ولعله أحد أجزاء معجم الشعراء الآتي ذكره من تأليف ياقوت أيضًا.

وأما الجزء السابع بل مختصره ففيه من تراجم الشعراء الذين لم يوصفوا بالأدباء: محمد بن علي بن أبي مروان الأموي (ج ٧، ص ٤٧)، ومحمد بن لئلك البصري (ص ٧٧). . . . أقول: حتى إذا انتهى ممن بُدنت أسماؤهم بحرف الميم، وهم بضعة نفر تحول إلى من بُدنت أسماؤهم بالنون وهم أربعة شعراء رابعهم نُصيب مولى الميدي. ولم يكن غير الفرزدق في حرف الهاء وهو همام بن غالب. وأما الذين بدنت أسماؤهم بالياء وهم أحد عشر شاعرًا آخرهم يونس بن يونس الخياط من مخضرمي الدولتين (ص ٣١٢).

وأعود إلى فوائد أستاذنا مصطفى جواد - رحمه الله - الذي مضى قائلًا:

«فكانَ الجزء الرابع والجزء السابع من معجم الأدباء متزجان من معجم الشعراء لياقوت الحموي وهو أخبار الشعراء على تسمية أخرى (إن لم يكونا جزءين منه) وأضيف إليهما عدّة تراجم من تراجم الأدباء».

أقول: إنتهى كلام الأستاذ مصطفى جواد، ولي في ذلك قول هو: كأنَّ الدارسين لا يملكون على وجه القطع أن يكون هذا الذي خلص إليه الأستاذ المحقق الجليل، فقد أتردد في قبوله وأشير إلى أنَّ المصنّف، وهو ياقوت، بدا له في دأبه وهو يسط معرفته المعجمية أن يفرد الشعراء في معجم خاص بهم، وهم لديه أخص من الأدباء، ولا أستطيع أن أتبين:

هل كان منه هذا، وهل أنجزه؟

كأني أرجح وأذهب إلى أنّ الأمر رغبة منه لم يستطع تحقيقها فكان منه أن ضمّ الشعراء إلى أصحابهم الأدباء. وقد يرذني عن هذا بل يصدني عنه فأقول: لو كان هذا لضمّ الشعراء كافة ولكنه لم يفعل هذا، ذلك أنّ كثيراً من الشعراء قد خلا عنهم معجم الأدباء.

وأقول: هل كان إدراج الشعراء في معجم الأدباء من صنعة المصنفين والتساخ بعد ياقوت؟ قد يكون هذا أيضاً. وأخلص من هذا إلى شيء لا أقطع فيه فأقول: ما زلنا نتظر الدرس الجاد للوصول إلى هذا الذي يحبك في أنفسنا.

وأعود إلى فوائد الأستاذ مصطفى جواد:

وقد ذكر ياقوت كتابه المذكور أعني أخبار الشعراء في أثناء كتبه، قال في الكلام على «بركة زلزل» في معجم البلدان: «وكانت زلزل تحت إبراهيم الموصلي فقال فيه في قصة ذكرتها في أخبار إبراهيم من كتاب أخبار الشعراء الذي جمعته».

وقال مصطفى جواد أيضاً: وذكره أيضاً في الكلام على «الرملة» و«جفيرة»^(٥٥)، «ومن المحتمل أنه ذكره في مواضع أخرى».

(٥٥) قال ياقوت في معجم البلدان: جفيرة: موضع في شعر حجر الملك أكل الرار، قال: ليمن الشار أوقدت بجفيرة لم يتل عنك مصطل متروك في آيات وقصة عجيبة ذكرتها في أخبار امرئ النيس بن حجر من كتابي في أخبار الشعراء.

وأما «الرملة» التي هي من مادة أخبار الشعراء فهي «رملة فلسطين». جاء في معجم البلدان: ... وكان أبو الحسن التهامي الشاعر أقام بها وصار خطيبها وتزوج بها وولد له ولد فمات بها فقال يرثيه:

أبا الفضل طال الليل أم خاني صيري فحُبل لي أنّ الكواكب لا تسري؟
أرى الرملة البيضاء بعدك أظلمت قنصري ليل ليس يقضي إلى فجر
وما ذاك إلا أنّ فيه وديعة أبي رؤها أن تُترد إلى الحشر
بنفسى هلال كنت أوجو تمامه فعاجله المقدر في غرة الشهر
وهي قصيدة ذكرتها في كتابي في أخبار الشعراء مع اختها:
حكم العنة في البرية جاري

وأضاف: وأذكر أيضًا بهذه المناسبة، كما يقال اليوم، ما قاله الأستاذ محمد عبد الجليل في مقدمة رسالة عين القضاة للهمداني، وقد نشرها في أوروبا وقدم لها بمقدمة باللغة الفرنسية قال فيها: «نصنّ ياقوت الحموي في معجم البلدان يختصر بموت عين القضاة وموت أبيه وجده، ويضيف إلى ذلك قوله:

«كما ذكرنا في كتاب أخبار الأدباء، أي الكتاب الذي نشره مرغوليوث. ثم إنّ وستفلد وبروكلمان لم يذكرنا أخبار الأدباء في عداد كتب ياقوت الحموي، ولكنّ الحاج خليفة ذكره في كشف الظنون منسوبًا إلى تاج الدين عليّ بن أنجب البغدادي المعروف بابن الساعي المتوفى بعد ستين سنة من وفاة ياقوت [علّق مصطفى جرّاد مصححًا فقال: الصحيح بعد ثمان وأربعين سنة: ٦٧٤-٦٢٦=٤٨].»

وما زلنا في كلام الأستاذ محمد عبد الجليل الذي مضى في قوله:

«ولعلّ بعض النسخ المخطوطة التي نشر عليها معجم الأدباء هي من تأليف ابن الساعي المذكور، أو مأخوذة من نسخة لها صلة بكتابه، فتكون جملة (كما ذكرنا في كتاب أخبار الأدباء) زيادة أو شرحًا أضيفنا إلى الأصل وهو أمر سهل مألوف في المعجمات»^(٥٦).

إنّتهى كلام الأستاذ محمد عبد الجليل.

وأعود إلى آخر ما كان لي من فوائد الأستاذ مصطفى جرّاد، وهو قوله:

«وقد فات ياقوتًا ذكر فريق من الأدباء فمنهم من لم يطلع على تراجمهم، كما يدلّ عليه كتاب بغية الوعاة للسيوطي. ومنهم من لم يجدهم حريّين بأن يُذكَروا في معجمه مع أنّه تبه على أدبهم في معجم البلدان بحسب مواضع بلدانهم. فالمهملون استخمالًا منه لهم أو غفلة منه

(٥٦) مقدمة رسالة شكوي الغريب عن الأوطان إلى علماء البلدان، ص ٤. نشرها محمد عبد الجليل في الجريدة الآسيوية (*Journal Asiatique*) في شباط ومارس سنة ١٩٣٠.

عنهم ليسوا في عداد الذين عقدت هذا البحث في ذكرهم، وإنما عقدته
فيما ضاع من التراجم من معجم الأدباء حسب، وعشرت عليه في مطالعاتي
وتصفحاتي وأضفت إليه أشياء أخرى للإفادة وهو التراجم الآتية:

أقول: إنتهت جملة هذه الفوائد التي اشتملت عليها مقدمة كتاب
الضائع من معجم الأدباء^(٥٧) لمصطفى جواد، وبذلك أختتم ما كان لي في
بحثي الذي وسعته به مع ياقوت في معجماته. ثم تحوّل الأستاذ بعد مقدمته
المفيدة فبدأ بإثبات ما هو ضائع من معجم الأدباء مرتباً على حروف
المعجم. لقد كان يذكر قول ياقوت في صاحب الترجمة وهو الذي وقف
عليه في المصادر القديمة، وفيما ذكره ياقوت نفسه في معجم البلدان،
حتى إذا تم له ذلك تحوّل إلى بقية أخباره في مصادر أخرى. لقد أثبت هذا
تحت قوله: تَمَّتْ.

(٥٧) أقول: من المفيد أن يعود النارس في آثار ياقوت إلى فوائد مصطفى جواد هذه. لقد
كان لهذا الأستاذ المجتهد تعليقات كثيرة بكاد يكون كل منها كتاباً برأسه، وأنا واثق
بأن أهل العلم قد أنادوا من تعليقاته على فوات اللقيات، بتحقيق محمّد محيي الدين
عبد الحميد، وغيرها.

من منشورات دار المشرق

